



# الرفق في منظور الشريعة الإسلامية



بقلم

محمد مهدي نذير فسلان

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَرْشِدُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ  
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ  
الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وِلياً مُرْشِداً...

**وأشهد أن لا إله إلا الله:** أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَقَالَ يَا خَلِيلِي: «حَسِّنْ خُلُقَكَ، وَلَوْ مَعَ الْكَافِرِ تَدْخُلْ مَدْخَلَ  
الْأَبْرَارِ، فَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ أَنْ أُظْلَهُ تَحْتَ  
عَرْشِي، وَأَنْ أَسْقِيَهُ مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِي، وَأَنْ أُذْنِيَهُ مِنْ  
جِوَارِي<sup>(١)</sup>». إلهي:

أنتَ الذي تهب الكثير.. وتجير القلب الكسير وتغفر الزلات  
وتقول هل من تائب مستغفر.. أو سائل أقضي له الحاجات  
**وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً رسول الله:** يقول  
مذكراً ومحذراً: «تَقْعُدُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ - أَي يَوْمِ

الجمعة\_ فَيَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثَ حَتَّى إِذَا خَرَجَ  
الإِمَامُ رَفَعَتِ الصُّحُفَ (٢)»

ثم اسمع إليه وهو يقول مذكراً ببعض أعمال يوم الجمعة:  
« أكثروا عليّ من الصلاة في كل يوم جمعة، فإنَّ صلاة أمتي  
تعرض عليّ في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة،  
كان أقربهم مني منزلة (٣)» **سيدي أبا القاسم يا رسول الله:**

لَكَ فِي الْقُلُوبِ مَحَبَّةٌ وَوَفَاءٌ... وَالْمَالُ مِنَّا وَالنَّفُوسُ فِدَاءُ  
يَا سَيِّدَ الْأَكْوَانِ إِنَّ لِقَاءَكُمْ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرِحَةٌ وَهَنَاءُ.  
**أما بعد إخوة الإيمان والإسلام:** إِنَّ مِنْ أَرْقَى الْأَخْلَاقِ  
الْفَاضِلَةِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى، وَالَّتِي تَعْدُ دَوَاءً  
نَاجِعاً وَبِلَسْمًا شَافِئاً لِإِصْلَاحِ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ "خَلَقَ الرَّفِيقَ"،  
ذَلِكَ الْخَلْقُ الْكَرِيمُ الرَّفِيعُ الَّذِي يَضَعُ الْأُمُورَ فِي نَصَابِهَا،  
فِيصَحِّحُ الْأَخْطَاءَ وَالْعَثْرَاتِ، وَيَقُومُ السُّلُوكَ وَالْأَخْلَاقَ،

ويهدي إلى الفضائل بالطف عبارة وأحسن إشارة.  
والرفق: "هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ  
بالأسهل<sup>(٤)</sup>" وقيل هو: اللطف والدرية وحسن التصرف.

ولا شك أن الرفق واللين ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق  
كما قال الإمام أبو حامد الغزالي \_ رحمه الله \_ لِأَجْلِ هَذَا  
أَتْنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّفْقِ وَبَالَغَ فِيهِ  
حَتَّى قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ  
أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ  
الرَّفْقِ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»<sup>(٥)</sup>

ولا يكادُ ميدانٌ من ميادين الإسلام إلا وللرفق فيه  
النصيبُ الأكبر والحظُّ الأوفر، سواء ذلك في الدعوة إلى  
الله، أو في جانب التشريع الفقهي، أو في جانب العلاقات  
الاجتماعية، أو في أبواب المعاملات اليومية حتى وإن كانت

مع الخصوم والأعداء..

**واسمحو لي معاشر الأُحبة** أن أسلط الأضواء على أهم مجالات الرفق في الحياة التي حثنا عليها كتاب الله وسنة رسوله، وهي واضحة شاخصة في "الدعوة إلى الله، وفي العبادات، والمعاملات، والعلاقات الأسرية، والحياة العامة" حتى نحرص على تحقيق هذه السجية الفاضلة والخصلة النبيلة التي تعد من شعب الإيمان التي أوصى برعاتها النبي العدنان..

أما الرفق في الدعوة إلى الله: فهو مما يُميِّزُ شريعة الإسلام عن ما دونها من الشرائع والنُّظم . ولقد حثَّ القرآن الكريم على اعتماد (الرفق) خياراً مبدئياً في نهج الدعوة إلى الإسلام، واعتبره ركناً وأساساً مهماً يقوم عليه صرح الدعوة لهذا الدين العظيم. ولقد خاطب الله سبحانه نبيه الأكرم

صلوات الله عليه قائلاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى

اللَّهِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٥٩]

دققوا في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ أي أن لينك لهم يا محمد مما يوجب دخولهم في الدين؛ لأنك تأتيهم بالحجج والبراهين الساطعة مع ساحة أخلاقك وكرم سجيّتك.

وهذا الخلق في الدعوة ينبغي أن يتحلّى به الشيخ والمربي والداعية إلى الله.. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»<sup>(٦)</sup> «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا..»<sup>(٧)</sup>

قلت مرة لأحد الشباب المقصرين في صلاتهم بعد

موعظة حسنة: لم تقصر في صلاتك؟! قال لي: عملي لا يسمح لي بالخروج لوقت كل صلاة.

قلت له: صلَّ حيثُ كنت؛ في معملك.. في محلك.. في رحلتك. قال لي: وتصح الصلاة في غير المسجد.

قلت: نعم. فلقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ<sup>(٨)</sup>» ففرح الشاب فرحاً كبيراً وكأني أزلت عنه عقبة كؤود من طريقه، وقال لي: عهداً علي لن أترك الصلاة بعد اليوم إن شاء الله.

نعم الرفق في الدعوة هي بحق؛ كالنسيم السَّاري الذي يدفع الشراع دون أن يغرق المركب، وكالنار الهادئة التي تقتل الجراثيم دون أن تحرق المريض.

قال الله تعالى لنبيه ومصطفاه: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الْحَجَرِ: ٨٨] وقال في آية أخرى: ﴿وَإِخْفِضْ

جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعْرَاءِ: ٢١٥]

وخفض الجناح تعبير آخر عن الرفق واللين واللطف واليسر التي يحرص القرآن المجيد على أن يتخلق بها حملته ومبلىغو تعاليمه. فإذا كان الرسول الأعظم صلوات الله عليه قد خوطب بمثل هذا الخطاب (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) فمن باب أولى أن يقتدي الداعية إلى الله بتلك الأخلاق العالية ويتحلى بها، تجسيدا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الْأَحْزَابِ: ٢١]

"وخفض الجناح" كما قلنا كناية عن التواضع ولين الجانب. وأصل معناه أن الطائر إذا ضم فرخه إليه بسط جناحه ثم قبض على الفرخ، فجعل ذلك وصفاً لتواضع الإنسان لأتباعه... والجناحان من ابن آدم: جانباه<sup>(٩)</sup>. والله در القائل:



تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ\* على صفحات الماء وهو رفيع  
ولا تك كالدخان يرفع نفسه \* إلى طبقات الجو وهو وضع

ورحم الله من قال:

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعةً.. فإنَّ رفيع القوم من يتواضعُ  
فالتواضع والرفق يجعل الداعية محبوباً مؤثراً في قومه  
وبيئته، وإحساس أولئك العصاة بالحنان والعطف من قبل  
الدعاة إلى الله تعالى هو نِعَم المعين لهم على ترك المنكر؛ لأن  
طردهم من المجتمع، يُوجب توغلهم في عالم الخطيئة.. ومن  
هنا ينبغي على الدعاة التعامل مع العصاة بحذر ورفق، مع  
التحلي بروح التربية.

انظروا إلى أسلوب رسول الله ورفقه في دعوته وهدايته..  
بينما هو جالس ذات يوم بين كوكبة من أصحابه الكرام إذا  
بشاب يدخل على النبي ونار الشهوة تتأجج في أضلاعه،  
والغريزة الجنسية قد تغلبت على نفسه وعقله وقلبه. ويقول

بأعلى صوته: يا رسول الله " ائذن لي بالزنا ، ائذن لي بالزنا " ،  
يا لها من كلمة..!! كيف جَرَّوْ الشَّاب أن يُقَدِّم على قولها بين  
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! كيف تجرَّأ أن يُقَدِّم  
على قولها بين يدي قائد المسلمين ورسول رب العالمين؟!  
ثار الجالسون..، غضب الصحابة الكرام، هموا بزجره  
وطرده.. لكن صاحب الخلق العظيم قال لهم: دعوه وخلو  
بيني وبينه، وقال للشاب: " ادن يا هذا " أي: اقرب. تعال  
إلى جوار من قال فيه ربّه (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) فأدناه  
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَّبَهُ. وَقَالَ لَهُ بَرَفَقَ وَلِين يَا  
هَذَا: «أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ،  
قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفُتِحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟»  
قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا  
النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفُتِحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟» قَالَ: لَا

وَاللّٰهُ، جَعَلَنِي اللّٰهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللّٰهُ جَعَلَنِي اللّٰهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِحَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللّٰهُ جَعَلَنِي اللّٰهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ».. وإذا بالحبيب يمد يده الشريفة الكريمة التي ملئت رحمة وعظفاً وحناناً وخوفاً على صدر ذلك الشاب. ويدعو الله قائلاً «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» (١١).

ثلاث دعوات مباركات تفتّحت لها أبواب السموات.  
ثلاث دعوات نحن بحاجة أن نصدق الله في دعائنا بها  
لشبابنا وبناتنا، فتلهج الألسن مع القلوب صباح مساء إلى  
ربّ الأرض والسماء بأن يغفر الله ذنبهم وأن يطهر قلوبهم،  
وأن يحصن فروجهم.

فقام الشاب من بين يدي رسول الله وهو يقول: "والله ما برحت مكاني إلا وكان الزنا من أبغض الأشياء إلي قلبي"  
 نعم إنه الرفق واللين وخفض الجناح لمن تدعوه وتريد الخير به. أما العنفُ في الدعوة فهو يُقَسِّي القلوب، وَيَسُدُّ الطريق إلى الهداية، ولا يصلُ بالداعية إلى مراده. بل ربما كان بأسلوبه سبب شقاية لا هداية. كما قال النبي: "إِنَّ مِنْكُمْ مُنْقَرِينَ" (١٢).

**أيها الأحبة:** وإذا كان اللين واللطف والتماس الأعذار منهجٌ أصيل في الشريعة الإسلامية؛ فإن هذه الصفات تعد مطلباً لازماً في حقل الدعاة والمربين، وكل من كان همه الإصلاح والتغيير.

ولقد دخل واعظٌ على بعض الملوك. وقال له: إني سأعظك وأغلظ عليك. فقال له الملك: وكان أفقه من الواعظ، ولما

الغلظة يا أخي ؟ لقد أرسل الله من هو خيرٌ منك إلى من هو شرُّ مني<sup>(١٣)</sup>، أرسل موسى إلى فرعون فقال له ولهارون:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]

ولذلك عندما قرأ أحد الصالحين هذه الآية قال: سبحانك ربي ما أحلمك وما أعظمك وما أرفقك. فإذا كان هذا حلمك بفرعون الذي قال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) فكيف حلمك بعبد قال: "لا إله إلا الله" وإذا كان هذا حلمك ورفقك بفرعون الذي قال: "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى"، فكيف حلمك بعبد قال: "سبحان ربي الأعلى".؟

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي.. جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سَلَامًا  
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ..... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوِكَ أَعْظَمًا  
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ،  
وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى

مَا سِوَاهُ<sup>(١٤)</sup>».

**أيها السادة الكرام:** ولقد حث الإسلام على الرفق في العبادات، والمعاملات، والعلاقات الأسرية، وفي كل منح الحياة.. حتى قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ<sup>(١٥)</sup>».

**أيها الإخوة الكرام:** كنت أود أن أواصل الحديث معكم لكن الوقت مرَّ سريعاً.. وعقارب الساعة قد صرخت وولولت.. فإلى أن يجمعني الله بكم في لقاء آخر... لنكمل \_بمشيئة الله\_ مواطن الرفق في شريعتنا السَّمحة... أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين<sup>(١٦)</sup>.

 بقلم

محمد مهدي نذير قشلاق

\_رجاء دعوة صالحة\_

## الرفق في منظور الشريعة الإسلامية

(١) رواه الحكيم الترمذي في "نوادير الأصول" والطبراني في

الأوسط عن أبي هريرة. (انظره في الترغيب والترهيب من الحديث

الشريف ٤٠٧/٣)

(٢) قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير بنحوه

ورجال أحمد ثقات. (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٧٧/٢)

(٣) قال المنذري: رواه البيهقي بإسناد حسن إلا أن مكحولاً

قيل: لم يسمع من أبي أمامة" (الترغيب ٥٠٣/٢)

وقال الفيروزآبادي في "الصلوات والبشر": إسناده جيد

ورجاله ثقات"

وقال السخاوي: رواه البيهقي بسند حسن لا بأس به إلا أن

مكحولاً قيل: لم يسمع من أبي أمامة في قول الجمهور، نعم

في "مسند الشاميين" للطبراني التصريح بسماعه منه، وقد

رواه الديلمي في "مسند الفردوس" له فأسقط منه ذكر

مكحول وسنده ضعيف" (القول البديع ص ١٥٨)

(انظر أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن

حجر العسقلاني في فتح الباري ٣ / ١٧٨٢)

(٤) قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله \_ (المتوفى:

٥٥٠هـ): اعْلَمْ أَنَّ الرَّفْقَ مَحْمُودٌ، وَيُضَادُّهُ الْعُنْفُ وَالْحِدَّةُ،

وَالْعُنْفُ نَتِيجَةُ الْغَضَبِ وَالْفِظَاطَةِ، وَالرَّفْقُ وَاللِينُ نَتِيجَةُ

حسن الخلق والسلامة. وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد

يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن

التفكير ويمنع من التثبت. فالرفق في الأمور ثمرة لا يشمرها

إلا حسن الخلق وَلَا يَحْسُنُ الْخُلُقُ إِلَّا بِضَبْطِ قُوَّةِ الْغَضَبِ

وقوة الشهوة وحفظهما على حَدِّ الْإِعْتِدَالِ وَلَا جِلِّ هَذَا أَتْنَى

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّفْقِ وَبَالِغٍ فِيهِ فَقَالَ يَا



عائشة: "إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" ١. هـ (إحياء علوم الدين ٣/١٨٤ -

(١٨٥)

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/١٥٩، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/١٥٩، ضمن ترجمة الإمام الشافعي (٤١٥)، واللفظ له، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال ٣/٤٦، الحديث (٥٤٠٩)، وعزاه للحكيم الترمذي، وأخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٧٤، الحديث (٣٤٩١) واللفظ له.

(٦) صحيح مسلم ٣/١٣٥٨. برقم (١٧٣٢). تحقيق: محمد

فؤاد عبد الباقي

(٧) صحيح البخاري ١/٢٣. برقم (٣٩). تحقيق: د. مصطفى

ديب البغا

(٨) صحيح البخاري ١٢٨/١. برقم (٣٢٨)

(٩) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٧٩/٨. محمد سيد

طنطاوي

(١١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٦ / ٥٤٥. قال الشيخ

شعيب\_رحمه الله\_ : إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال

الصحيح.

(١٢) صحيح البخاري ٢٤٩/١. برقم (٦٧٢).

(١٣) أورد الياضي في كتابه: " مرآة الجنان وعبرة اليقظان في

معرفة حوادث الزمان " عن الأصمعي قوله: بينما أنا مع

الرشيد بمكة، إذ عارضه العمري فقال: يا أمير المؤمنين، إني

أريد أن أكلّمك بكلام غليظ، احتمله الله عز وجل، فقال:

أفعل، فو الله لقد بعث الله تعالى من هو خير منك إلى من

هو شر مني، فقال: فقولا له ليناً. (١ / ٢٤١)

(١٤) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٠٣. برقم (٢٥٩٣).

(١٥) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٠٤. برقم (٢٥٩٤).

(١٦) ألقيت هذه الخطبة في أحد مسجد عمان عام

١٤٣٨هـ-٢٠١٧م. كما ألقيت في بعض المراكز الإسلامية

الدعوية.